# الفضاء العمومي واتيقا الحوار
# [هابرماس أنموذجا]

**شريقي أنيسة***

**إشراف:اد عبد الله موسى[1]**

**تمهيد**

يعتبر مفهوم الفضاء العمومي من المفاهيم الأساسية اهتماما بالغا في الفكر الفلسفي منذ أن أنجز الفيلسوف الألماني يورغن هابرماس رائعته المعنونة بـ"نظرية الفعل التواصلي". يذهب في هذا الكتاب إلى أن الفضاء العام، ينبني على مركزية الفعل التواصلي المؤسس على العقل العملي العام بين الفاعلين من المستوى الأصغر للحياة الاجتماعية إلى المجالات الجمعية الأكثر تنظيما، والتي يتم فيها التباحث والنقاش من أجل المصلحة المشتركة، وهو الفضاء الذي يشهد تشكل القيم المدنية الكبرى، مثل الالتزام والتسامح والتماسك الاجتماعي والصالح العام، إلى غير ذلك من المفاهيم التي تنتظم كلها في سبيل استخدام العقل بشكل منفتح على التنوع والاختلاف والحوار.

مفهوم الفضاء العمومي: يعتبر الفضاء العمومي ESPACE PUBLIC من المفاهيم الملازمة للعقلانية التواصلية وهو المفهوم الذي انشغل به هابرماس طيلة كتاباته إلى حد أنه خصص له عملا مستقلا بذاته " التغيرات الهيكلية للمجال العام 1962 "، حيث قام بتحليل سوسيولوجي للفضاء العمومي البورجوازي، ظهوره، تحوله، بنيته، وظيفته، وخصائصه في كل حقبة تاريخية، مستندا إلى معطيات علم الاجتماع والتاريخ.

يعتبر هذا المفهوم من صنع الفيلسوف الألماني إمانويل كانط Kant[2] الذي دافع بقوة عن الجرأة في استعمال العقل، تلك الجرأة التي تفترض الشجاعة والاستقلالية والمسؤولية والإرادة.

---

* شريقي انيسة باحثة في الفلسفة، مخبر تطوير البحث، جامعة سعيدة الجزائر

1 -أستاذ تعليم عالي، جامعة سعيدة، مدير مخبر تطوير البحث في العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة سعيدة

2- حسن مصدق، يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت، المركز الثقافي العربي، د ط، 2005 ص:06.

وهنا يميز كانط بين الاستعمال الممكن للعقل فهو يرى الاستعمال الخاص للعقل والاستعمال العمومي للعقل" المبدأ الذي يقود نظام الحق، وهي قبل كل شيء منهج الأنوار ذاته "[1].

والفضاء العمومي عنده هو مفتاح الممارسة الديمقراطية في نظر هابرماس الذي عمم استخدامه منذ السبعينات من القرن الماضي. وهو يعرفه "كدائرة التوسط بين المجتمع المدني والدولة، فهو الفضاء المفتوح الذي يجتمع فيه الأفراد لصوغ رأي عام والتحول بفضله إلى مواطنين تجمعهم آراء وقيم وغايات واحدة"[2].

الفضاء العام "هو الخير العام الذي يمثل المصلحة العامة والمشتركة للمواطنين وبهذا فإنه يجمع ما بين العقلنة السياسية والمشروعية الديمقراطية"[3]، فنظرية التواصل تجسد الديمقراطية المرتبطة بالنشاط التواصلي الذي هو عبارة عن حوار بين عقول المتحدثين هدفها إقامة علاقات تفاهمية حول قضايا تهم المجتمع تفرض نفسها في الحوار، فهذا الفضاء العمومي فهو ذلك الفضاء الذي يتداخل فيه الفعل السياسي لتاطير الفعل السياسي وهذا عن طريق الدعاية la publicité لتوجيه الرأي العام وجهة عمومية وهذا يكون بالفعل التواصلي.

"ونميز بصدد المفهوم la publicité بين المعنى الذي يراد به العمومية من العموم le public أي المبدأ الكانطي الذي وظفته حنا ارندت Hannah Arendt وهابرماس فيما بعد، والمقصود به تحديدا في الاستعمال الهابرماسي الاستعمال العمومي للعقل والإعلان العمومي لحقيقة، ذلك أن العقل عند هابرماس هو العقل النقدي الذي يوظف الفضاء العمومي بما هو" تجمع لجمهور يمتلك رأيا عاما ذي وظيفة نقدية، وبين la publicité بمعنى الدعاية أداة تستعملها الدولة لتوجيه الرأي العام" [4]. فهذا الفضاء العمومي الذي

---

1 -Jhabermas l espace public archéologie de la publicité comme dimension constitutive de la société bourgeoise traduit par marc b de Launay Ed Payot 1978 p 114

2 -حسن مصدق يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت، المرجع السابق، ص:07.

3 -علاء الطاهر، مدرسة فرانكفورت من هوركهايمر إلى هابرماس، ، منشورات مركز الإنماء القومي بيروت، ط1، بدون سنة ،ص:100 .

4- رشيد العلوي، الفضاء العمومي من هابرماس إلى نانسي فريزر، مجلة مؤمنون بلا حدود، مؤسسة الدراسات والأبحاث، الرباط، ب ط، ب س، ص 2

يجسده هابرماس بين العقلانية والديمقراطية، ففي ظل هذا الفضاء يتواجد التواصل الاجتماعي ويتحقق الحوار بين المواطنين وتحقيق السلم وحرية الفرد.

"فالفضاء العمومي الذي تكلم عنه يختلف عن الفضاء البرلماني الذي هو جزء مهم من الدولة ويدين بالولاء للسلطة السياسية، بينما الفضاء العمومي فهو مختلف لأنه هو مجال نقي للمواطنين ويدين بالولاء للشعب، وهذا الفضاء متحرر من كل المجالات"[1]. تعد دراسة هابرماس للمجال العمومي نقدا محايثا للمجال العام وهو الذي ينتقد الموضوع انطلاقا من النموذج الذي يجب أن يكون عليه هذا الموضوع، فهابرماس يكشف أن المثال الليبرالي والديمقراطي كانت له أسسه الواقعية التي قام عليها. إلا أن تطورات المجتمع الغربي منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر تناقضت مع هذا المثال، فأكد على أن الممارسة السياسية في المجتمعات الغربية تستند على نفس المبادئ التي وجدناها في المجال العام.

وتستمد منها شرعيتها ومصدر هذه الشرعية يرجع إلى حرية المواطنين في تشكيل إرادتهم السياسية واختيار حكومتهم والتأثير عليها، لكن واقع هذه المجتمعات تتناقض مع هذه المبادئ[2]، ويطرح هابرماس نظرية في الإيديولوجيا كحل لذلك يرى" أنه إذا كان الإجماع يتحقق بمجرد مشاركة المواطنين في نقاش عقلاني حر فإن أي عوائق تمنع وتقيد هذا النقاش الحر تؤدي إلى أن يصبح التواصل مشوها"[3].

إن التواصل المشوه هو "الاسم الذي يطلقه هابرماس على الإيديولوجيا التي يفهمها على أنها التأثير القمعي الذي تمارسه السلطة على تواصل المواطنين لا تمنع الهيمنة الممارسة على عملية التواصل من الوصول لفهم مشترك وإجماع، بل هي تزيف هذا الفهم وتشوه التواصل وتصنع من إجماعا رائعا لا تتوفر فيه الشرعية العقلانية"[4]، وهذا الأمر في نظر هابرماس هو الذي أدى إلى اضمحلال الفضاء العام في اعتقاده، وعليه عزل المجتمعات والجماهير عن عملية النقاش العام وعمليات اتخاذ القرار وهذا الأمر يؤدي إلى إبعادهم

1 - أبو النور حمدي أبو النور حسن، يورغن هابرماس الأخلاق والتواصل، ، دار التنوير، بيروت، ص:196.

2- أبو النور حمدي أبو النور حسن، يورغن هابرماس الأخلاق والتواصل المرجع السابق، ص:196.

3 - علاء الطاهر، مدرسة فرانكفورت من هورهايمر إلى هابرماس، المرجع السابق ص: 105.

4 - أبو النور حمدي أبو النور حسن، يورغن هابرماس، الأخلاق والتواصل، المرجع نفسه ص: 196.

عن الأمور السياسية، وهنا نجد هابرماس يقول "إن نزع الصفة السياسية ع الجماهير واضمحلال المجال العام باعتباره تنظيما سياسيا يعد أحد مكونات نظام الهيمنة الذي ينزع إلى عزل المسائل العملية عن النقاش العام[1]".

فالفضاء العام هو فضاء مهم للنقاش والحوار بين المواطنين وهو من جانب آخر بمثابة نقطة اتصال بين السلطة السياسية والشعب، وقد نجد هذا الفضاء منقذ للوضع باعتباره القناة الموصلة بين الشعب والسلطة. وهذا المجال هو الميدان التي تجتمع فيه الأفكار لتحقيق التغيير والخروج من المشاكل، وهذا الفضاء العمومي لا يكون إلا في دولة ديمقراطية.

ومن المبادئ الأساسية التي شكلت فكر هابرماس السياسي "مبدأ أساسي ظهر في كتابه " المجال العام " هو مبدأ الدعاية"[2]، والذي أسندت إليه الدول البرجوازية المعاصرة ومن هنا يذهب هابرماس إلى أن الفضاء العام والدعاية هي دراسة تسعى لفحص أساس وبنية النموذج الليبرالي البرجوازي.

يرى هابرماس "إن وسائل الإعلام الجماهيرية تحمل في داخلها قدرة متناقضة أو متضاربة، وسيكون خروجا عن الموضوع، الزعم بشكل ثقافي نقدي كما فعلت النظرية النقدية القديمة إن وسائل الإعلام الجماهيرية تخرب كل رأي عام نقدي، فهي على العكس من ذلك يمكن أن يعزى إليها دون شك قدرة تحررية "[3].

فالفضاء العمومي البرجوازي تبلور في القرنين 18 و19 وهو زمن عصر الأنوار حيث اعتبر هابرماس الفضاء العمومي البرجوازي تأسيسه كان على حساب إقصاء الفضاء العمومي الشعبي، البرجوازية تتشكل نواتها من موظفي الادراة، القضاة، الأطباء، القساوسة، الضباط والأساتذة وغيرهم من أفراد النخبة المثقفة حيث "شكلت هذه الطبقة فضاء

---

1- المرجع نفسه، ص: 197.

2 علاء الطاهر، مدرسة فرانكفورت من هوركهايمر إلى هابرماس، المرجع السابق ص: 105.

3 علي عبود المحمداوي، الإشكالية السياسية للحداثة، من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل، هابرماس أنموذجا، منشورات الاختلاف، الجزائر ط1، 2011 ص 246

عاما بورجوازيا يضم أشخاصا خواصا شكلوا جمهورا، وهم لا يمارسون أية سلطة غير أنهم يرفضون المراقبة التي تمارسها السلطة عليهم"[1].

ومن ثم يطالبون بفضاء عام من قبل السلطة لكنه موجه ضدها وهدفهم من هذا حتى يتمكنوا من مناقشة مسائل اقتصادية وبالنسبة إلى هابرماس له أهمية كبيرة لأنه يسمح ببروز الاستعمال العام والنقدي للعقل.

لقد لعب المجال العام، الذي أسسته الطبقة البرجوازية دورا هاما في التقدم السياسي والاجتماعي وحتى الاقتصادي الذي حققته الدول الأوروبية فهو الذي سمح بظهور المجتمع المدني كقوة اجتماعية مستقلة تراقب السلطة الارستقراطية " وهو المجال الذي يتم فيه النقاش والحوار الحر بين مختلف الأفراد حول الشؤون العامة المشتركة "[2].

وهو مجال لنقد السلوكات والمعتقدات اللامنطقية التي تأسست في المجال الخاص، وبعدها يعاد تشكيلها باستعمال العقل والمنطق.

كما نجد للفضاء العمومي وظيفة أدبية ثقافية تجسدت في المسارح والمعارض والقاعات والحفلات والمقاهي والنوادي والصالونات الثقافية.

ان النشاط الذي تمارسه "الهيمنة البرجوازية داخل النسق التاريخي الأوروبي مقترن إلى حد بعيد بفاعلية واضحة في التفكير والتواصل، المرتبطين بدورهما بمنطق الإنتاج والتطور الصناعيين، وصيرورة القوى المنتجة، والطابع التقني لوسائل الإنتاج " [3]، لذا حاول هابرماس أن يظهر اغتراب الوعي الجماعي داخل منظومة الدعاية الغربية والتوفيقية الواضحة للفكر السياسي والمشروعي للسلطة.

ولجأ أيضا إلى تحليل ظاهرة ارتباط الميدان العام بحركة الديمقراطية التحررية وصعودها، لكن الوصول إلى المرحلة الدستورية هو حصيلة تطور تاريخي صعب ومتقلب

---

1 خديجة زتيلي، الفلسفة السياسية المعاصرة ، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2014، ص 162

2-Cité par : Vallerie Devillard in « espace public et l'emprise de la communication ».www.Enssib.fr /21/12/2005

3 عمر مهيبل، إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، ط1، 2005 ص 331-332

مرت به الطبقة البرجوازية[1]. وما حاول هابرماس تقديمه هو تحويل خصوصية النخب البرجوازية في العصر الحديث إلى جعله ميدانا عاما لكل الفئات الاجتماعية، من هنا عمد هابرماس تسليط الضوء على ضرورة الإعلام الخالي من هيمنة المؤسسات والأفراد من جهة، وكشف زيف الممارسة الدعائية لتلك المؤسسات والأفراد من جهة أخرى. يقول هابرماس " إن وسائل الاتصال تأسر جمهور المتفرجين والسامعين لكن تمنع عنهم في أن واحد كل "بعد تحرري"، أي إمكانية اخذ الكلمة والمعارضة "[2].

هنا نجد أن للإعلام دورا في عملية التواصل فهو يعتبر وظيفة اشهارية لمواضيع النزاع والنقاش داخل الفضاء العمومي ضف إلى هذا هو عامل محفز للنشاط السياسي والاجتماعي فهو يجعل من الفعل الاجتماعي قوة مؤثرة باتجاه السلطة. كما يصح العكس، وتحويل الجمهور من المستهلكين للثقافة التي يتلقونها من وسائل الاتصال فبعد ظهور وسائل الاتصال ثم" الانتقال من ثقافة المناقشة والحوار إلى ثقافة المستهلك"[3].

اعتبر هابرماس الدعاية في كتابه " الفضاء العمومي " دراسة للدعاية والإعلام كوسيلة فعالة ومباشرة من وسائل الهيمنة: هيمنة الدولة ومؤسساتها البيروقراطية بحيث تسهم في تكوين رأي عام يوازن أهدافها على الدوام.

لا تسمح لهذا الرأي بأن يتعارض مع برامجها وشروعها العام من السيطرة و"ذلك عبر خلق محفزات مرنة لأجهزة هيمنتها على الوعي الجماعي وتنشيط هذه الأجهزة بشكل يوازي الحركية التاريخية، لتطور الوعي الجماعي والمؤثرات التي تحيط بهذا الوعي، تملك القدرة على تحقيق خروج جزئي أو كلي من الإستلاب العام"[4].

حاول هابرماس بشكل تاريخي رصد عملية الوعي الجماعي المتجسد كرأي عام من المجتمعات الأوروبية ويقوم اتساع هيمنة المؤسسات في الفضاء العمومي، متتبعا تطورها التدريجي متوغلا في تاريخية الدعاية والإعلام. وتطور أدوات السيطرة على الجمهور

---

1 أبو النور حمدي أبو النور حسن، يورغن هابرماس الأخلاق والتواصل، المرجع السابق ص:198.

2 -Jhabermas l espace public P 179

3 خديجة زتيلي، الفلسفة السياسية المعاصرة، المرجع السابق، ص 164

4 خديجة زتيلي، الفلسفة السياسية المعاصرة، المرجع السابق، ص: 105.

وبعمق تحليلي حاد، إلى درجة نشعر معه بوعينا محكوما بدرجة من الهيمنة والقيود الذهنية والفوقية التي تنتفي فيها كامل إرادتنا وحريتنا.

ويجسد هذا الكتاب الواقع المعيش الذي تهيمن عليه وسائل الإعلام، إذن بالنسبة له هذا الواقع المزري داخل ما يسمى الدعاية الموجودة في المجتمع الأوروبي شكل ما يسمى بالإستلاب وتجلى هذا أثناء الصعود التدريجي والواضح للطبقة البرجوازية، ففي نهاية القرن الثامن عشر في فرنسا اكتسبت الطبقة البرجوازية وعيا بنفسها وشرعت بتكوين استقلال خاص بها تجاه السلطة، وذلك عن طريق تأسيس قواعد ومبادئ لخلق حوار ومناقشات حرة عامة وعادلة.

ثم أخذت هذه الطبقة بممارسة فعل المناقشة وفق طريقة نقدية، "وعندما انبثق مبدأ الحوار المفتوح بدأ المجال البرجوازي العام بالتمركز داخل الصالونات والمنتديات الثقافية العامة حتى عبر عن نفسه وتموضع في النهاية داخل صبغة الدولة الدستورية تحت ظل وغطاء الحوارات الإنتخابية والبرلمانية" [1]. فالهيمنة التي تمارسه هاته الطبقة مقترنة بفعالية فكرية مرتبطة بدورها بمنطقة الإنتاج والتطور الصناعي، هذا ما يؤدي إلى استلاب واغتراب للوعي الجماهيري.

**مميزات الفضاء العمومي عند هابرماس:**

بالنسبة إلى هابرماس فيري أن هذا المجال قد تفكك وتدهور وبالنسبة إليه قد تميز الفضاء العام بميزات ثلاث[2] هي:

1- إن الخطاب في المجال العام لم يكن يعير أهمية لمكانة وتميز الأشخاص المشاركين فيه، وهو بذلك يفترض أن السلطان والامتياز أو التفوق كان لقوة الحجة والمحاجة الأفضل.

2- إن النقاش في المجال العام كان يشكل حول القضايا المناقشة فيه، تلك القضايا التي كانت مناقشتها حكرا حينها إما على الكنيسة أو الدولة.

---

1 علاء الطاهر، نظرية هابرماس النقدية، مجلة الفكر العربي المعاصر، مجلة شهرية، مركز الإنماء القومي، بيروت، العدد:41، 1986، ص:51.

2 علي عبود المحمداوي، الإشكالية السياسية للحداثة، المرجع السابق ص 229

3- السيرورة التي حولت الثقافة إلى سلعة مع إمكانية أن تكون الثقافة في متناول الكل كسلع ضرورية، فلم يعد لذلك موضوع النقاش والإشكال في المجال العام مقصورا على مجموعة أو زمرة، وكأن هابرماس يريد، بتشخيصه هذا، الإشارة إلى الحالة المثالية للحوار والتي تتشكل تاريخيا.

إن الفضاء العمومي يناقش بنى الدولة الدستورية والصحافة والنقاشات البرلمانية المفتوحة على الإعلام، وهذا جعل السلطة السياسية خاضعة لمحاكمة الرأي العقلي والشرعي من نخبة من الجمهور يستخدمون عقولهم داخل سياق من الحرية والاستقلال في إطار الحوار الذي يعد حجة لإرادة السلاطة والقوة.

والحوار داخل الفضاء العمومي يشكل لنا التفاهم بين الذوات والتفاهم الذي يستطيع وحده في حالة الصراع يجنبنا العنف، وهذا الخطاب لا يمكن أن نؤسس له إلا داخل الفضاء العمومي المفتوح الذي يجتمع فيه الأفراد للخروج برأي عام والتحول بفضله إلى مواطنين تجمعهم أراء وقيم وغايات. " فالفضاء العمومي ليس معطى ولا هو خارج دائرة التجارب الإنسانية وإنما يشكل فضاء رمزيا يتكون ويتشكل عبر الزمن ويحتاج إلى بلورة مفردات ومنظومات قيم مشتركة واعتراف متبادل بالشرعيات المتعددة الخاصة إلى فاعل ورؤية متقاربة حتى يصبح من الممكن النقاش والاعتراض والتشاور "[1].

يعرف هابرماس الفضاء العمومي في كتابه الحق والديمقراطية " أنه بنية تواصل منغرسة في العالم المعيش بواسطة قاعدته المتكونة من المجتمع المدني "[2]، وشبهه بـ " صندوق الصدى جاهز ليعكس المشاكل التي لم تجد حلا لها من أية جهة أخرى، ولا بد أن تعالج من قبل النظام السياسي "[3].تشكل الفضاء العام بما هو ظاهرة اجتماعية من مستويات مختلفة وكثافة التواصل وتعقيد التنظيم ومدى اتساع التوعية، إذ أنه عبارة عن جهاز وظيفته إدراك المشاكل وتحديدها.

1 -الناصر عبد اللاوي، الهوية والتواصلية في تفكير هابرماس، دار الفارابي، لبنان، ط1، 2012 ، ص 202

2- Jürgen Habermas droit et démocratie Entre faits et normes gallimard France ،2012 P 386

3-Ibid p 386

**دلالات مفهوم الفضاء العمومي:**

اتخذ مفهوم الفضاء العمومي دلالات عديدة ومتنوعة نجملها فيما يلي [1] "

اجتماعية: لأنه يمثل مسح لكل البنيات الاجتماعية من جهة مكونتها ووظائفها وكيفية تفاعل عناصرها.

**سياسية:** أي نمط اجتماع الأفراد في المدينة وكيفية تنظيمهم لشؤونهم ولكيفية استعمالهم لمواهبهم الذهنية والجسدية.

**اقتصادية:** لأن الفضاء العمومي هو "أيضا مجال لتبادل السلع والبضائع وحل مشكلات التوزيع، ويشمل مختلف علاقات الإنتاج والاستعمال والتبادل ولطبيعة اشتغالها تحررا أو اغترابا وهو فضاء المجتمع المدني" [2].

ثقافية: ويتعلق الأمر هنا بالانتاجات الرمزية واللغوية والأدبية والفكرية، إذ تتبع هابرماس حركة الصالونات الأدبية ودور البورجوازية أفرادا خصوصيين لعبوا أدوارا مهمة في الصراع بين الطبقة الثالثة وبقايا الإقطاعية.

**إتيقية:** الفضاء العمومي يحتاج إلى توجيه الإنسان لذاته فكرا وعملا، وهو ما ليس ممكنا إلا بفضل معايير إتيقية وحددها في معايير إتيقا الحوار والمناقشة، دون أن ننسى حقيقة الفعل الإنساني من جهة منطلقاته وغاياته وأساليب مداولته مع الأخر بخصوص الشأن العام.

**أنطولوجية:** وتتعلق بالمجال الذي يوجد فيه الكائن: تربة الوجود المشترك من أجل العيش المشترك، فوجود الفرد داخل الفضاء العمومي هو وجود الكائن داخل مجال مؤسس على مبادئ ومحكوم بقيم حارسة للإنسانية.

اعتبر هابرماس الفضاء العمومي، أنه يهتم بالشأن العام وبقضايا التواصل والحوار، ففي هذا الفضاء يتم الإعلان عن المواطنة فهو يرى أنه لا معنى للفضاء العمومي إن لم

1 -رشيد العلوي، الفضاء العمومي من هابرماس إلى نانسي فريزر، المرجع السابق ص 8

2 - J.habermas espace public p 10

تكن فيه ممارسة حقيقية للمواطنة والفعل السياسي الديمقراطي الذي يكون أساسه الحوار وتبادل الآراء.

من هذا نجد أن الفضاء العمومي يعيد إنتاج ذاته بواسطة الممارسة اليومية للتواصل، التي يمكن أن يشارك فيها الجميع حيث يتحاورون في مسائل مختلفة وبالتالي تندرج إشكالية الفضاء العمومي ضمن أشكال العلاقة بين الدولة والمجتمع المدني لأن مجرد التفكير في الفضاء العام هو تفكير في الممارسة الإنسانية وغاياتها في أبعادها السياسية والاجتماعية والتاريخية.

على سبيل المثال "المشاكل التي استحدثها التقدم العلمي والتقني، الطاقة النووية، والبحث الجيني وتحسين النوع البشري والأخطار الايكولوجية وبذلك يمتد الفضاء العام إلى مسائل السياسة لكنه يترك مهمة معالجتها للنظام السياسي "[1]. ويقصد هابرماس بالمجتمع المدني "نسيج جمعياتي يتأسس في إطار فضاءات عامة منظمة المناقشات التي تقترح حل المشاكل الناشئة المتعلقة بمواضيع المصلحة العامة "[2].

يتكون المجتمع المدني عموما من منظمات وجمعيات، وحركات غير حكومية وغير اقتصادية ذات قاعدة تطوعية تتلقى صدى المشاكل والانشغالات الاجتماعية وتعمل على تمريرها إلى الفضاء العام السياسي. وهي بذلك " تربط بنيات تواصل الفضاء العام بتركيبة المجتمع في العالم المعيش"[3].

بناءا على هذا نجد أن الرأي العام " يظهر نفسه في حوار مشترك لمواطنين متعايشين فيما بينهم، ذلك التواصل الذي يضفي العلمية على البراكسيس السياسي، لا يمكن أن يتكون مستقلا عن التواصل الذي انطلق في مرحلة ما قبل العلمية وهو يتماسس في الشكل الديمقراطي، في حوارات عامة بين جمهور مواطني الدولة "[4].

---

1 -خذيجة زيتلي وآخرون، سؤال الحداثة والتنوير، بين الفكر الغربي والفكر العربي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2013، ص 96

2 -Ibid ، p 399

3 -خديجة زتيلي، الفلسفة السياسية المعاصرة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2014، ص 167

4 -يورغن هابرماس، العلم والتقنية كايدولوجيا، ترجمة حسن صقر، منشورات الجمل ألمانيا. ط 1. 2003، ص 120

يعتقد هابرماس أن الرأي العام المنبثق عن المجال السياسي العام الخاضع لتداولية تواصلية حاكمة للفعل السياسي ولا يقتصر الأمر في مسارات التواصل على إذاعة المضامين واتخاذ المواقف من قبل وسائل الإرسال بل لابد من هيكلة الرأي العام وبالتالي يجب أن تكون قواعد ممارسة التواصل متبوعة باتفاق مشترك.

"إن العلاقة بين الحوار والقانون فهو يعتبرها علاقة جدلية انعكاسية فبدا الحوار هو أسلوب لإنتاج شرعية القواعد القانونية والتي لا يمكن أن تكون صحيحة إذا لم يتم الاتفاق عليها عبر نقاشات عقلانية يشارك فيها ذي شأن، ولهذا فان الشرعية هي تلك القواعد تعتمد على احترام المقتضيات المعيارية التي تنتج النقاش "[1].

ومن هذا المنطلق فان هابرماس يعارض الاستعمال التاثيري لوسائل الإعلام ( السلطة الإدارية ) في الفضاء العمومي لان هذا الاستعمال التاثيري بإمكانه أن يعارض أو يكبل الفعل التواصلي الذي يقوم على الحوار والمناقشة

وهنا عمد هابرماس إلى إدخال القانون كوسيط بين السلطة الادراية والسلطة التواصلية وهي عملية تتم بإشراك الفضاء العمومي" لان الرأي العام بحكم وظيفته الاقتراحية، وارتباطه بالسلطة التواصلية ينحصر دوره في التأثير على السلطة الإدارية وليس في تعويضها "[2].

قد وجد هابرماس سبيلا في تحقيق هذا عن طريق القانون، مادامت مهمة القانون هي تحويل السلطة التواصلية إلى سلطة إدارية والتي تتبلور في شكل قوانين قابلة للتطبيق.

"وهي قوانين تستمد شرعيتها من المشرعين فمع ظهور قوة السلطة التواصلية التي تمثل الرأي العام، لم تعد الدولة تتحكم في المواطن وتستمد شرعيتها من الإرادة العامة بل أصبح المواطن وبفضل شبكة العلاقات التي يقيمها في الفضاء العمومي هو مصدر سلطة التأثير على الدولة"[3]، ومن خلال إدراج مفهوم السلطة التواصلية يكون هابرماس بذلك

---

1 -علي عبود المحمداوي، الإشكالية السياسية للحداثة، المرجع السابق، ص 243

2 - J. habermas ،espace public p 44

3 -علي عبود المحمداوي وآخرون، الفلسفة السياسية المعاصرة، دار الروافد الثقافية، بيروت، ط 1، 2015، ص 257

وسع من دائرة السلطة الإدارية وأفسح المجال لاستعمال العقل داخل الفضاء العمومي استعمالا نقديا.

فالسلطة التواصلية تمح للذوات داخل الفضاء العمومي على بلورة تصوراتها كما أنها لها تأثير على السلطة الإدارية من خلال إضفاء المصداقية على القوانين المتخذة، والرأي العام هنا له دور باعتباره محولا للسلطة وهو بإمكانه توسيع مجال استعمال السلطة الإدارية وعلما أن هناك علاقة بين الرأي العام والسلطة التواصلية وبالتالي سيصبح دور السلطة التواصلية خدمة المصلحة العامة في الفضاء العمومي. هنا نجد من منطلق أن السلطة التواصلية هي سلطة غير قهرية، سيصبح القانون هو الأخر هو تلك الصياغة العامة لإرادة الرأي العام وهنا تتسع دائرة القانون من خدمة الدولة وأجهزتها إلى خدمة المصلحة العامة.

وتصبح العلاقة تكاملية بين السلطة التواصلية والسلطة الإدارية وبالتالي تكون هناك علاقة بين الفرد والدولة آو بين الفضاء العمومي والدولة وهنا "تصبح مهمة السلطتين ( الأولى والثانية ) هي اشكلة القضايا المطروحة، ودفع الناس عن طريق استعمالهم لعقلهم بشكل عمومي ولحريتهم التواصلية "[1]. ومع تطور وسائل الإعلام والاتصال بدأت تتسع دائرة القراءة وهي التي لم تكن تنكون إلا من طبقة البرجوازيين اللذين اخذوا يكيفوا سلوكاتهم وعاداتهم مع التطورات والتقنيات الجديدة للطباعة والنشر.

نتج عن هذا التطور ظهور شكل جديد مت التواصل والمعاشرة الاجتماعية nouvelles formes de sociabilités وهي بطبيعة الحال تكون مبنية على العقل والمنطق في حوارتها وجل نقاشاتها بحيث عمد كل فرد على إعطاء رأيه في كل العناوين والأخبار التي كانت تتناقلها وسائل الإعلام.

بهذا صاغ هابرماس تعريفه للمجال العمومي "مجال للممارسات الفكرية المبنية على الاستعمال العام للعقل والمنطق من طرف أفراد خواص، حيث قدراتهم النقدية غير

1- Jürgen Habermas ،droit et démocratie ،p 359

مرتبطة بانتمائهم إلى جهاز رسمي ما أو بلاط الملك ولكنه يرتبط بنوعية قراءاتهم ومشاهديهم الذين جمعتهم متعة الحوار المعيشي"[1].

وعمل هابرماس على تشكيل تصور معياري للفضاء العمومي مع مراعاة التوتر بين القانونية والصلاحية وينظر هابرماس فهو يريد أن يؤسس للفضاء العمومي وفق نموذج تواصلي عن طريق الحوار والمناقشة. فهو ينظر إلى" المناقشات وكأنها قدر محتوم لا يمكن التهرب منه واستبداله، ما دفعه إلى أن يعزو للمجال العمومي قيمة منطقية من الدرجة الأولى "[2].

وعليه فان هابرماس يهتم بأخلاقيات الحوار والمناقشة وهذه من خلال الشروط التي يحددها النقاش ولا يمكن تجاوز هذه الشروط فهذا يؤدي إلى الاعتراف بالأخر، فهو يعتبره مجالا واسعا للنقاشات وتشكيل الآراء والمواقف حول القضايا والمشاكل التي تشكل محور اهتمام الناس.

إذن هناك حوار بين الأفراد داخل النوادي الأدبية حول المسائل والقضايا المشتركة ونجد هابرماس بالرغم من انه لا يعطي لتأسيس الفضاء العام أي بعد مادي إلا انه يبرز لنا انه يجب أن يكون للمتحاورين مكانا يجمعهم. ومشاركة جميع المواطنين في هذه النقاشات، وبطريقة متساوية، أمر مركزي بالنسبة لمفهوم الفضاء العام عند هابرماس" فهو يعتقد أن الفضاء العمومي ليس مكانا لتعبير عن الرأي فقط بل هو عبارة عن مرآة تسمح للأفراد والمجموعات المشاركة في التفاهم"[3]. فالفضاء العمومي هو الفضاء الذي يجتمع فيه المواطنين لصياغة رأي عام وشامل وهنا فتح المجال أمام المواطنين في المشاركة في القرارات السياسية والمصيرية التي هي من مصير الشعب.

ويعتبر مفهوم الفضاء العام قد اخذ حيزا وفعالية اكبر مع هابرماس وأصبح البيئة المعول عليها في انجاز مشروع عقلنة الممارسة السياسية، بتوفيرها ميدانا لتداول الموضوعات

---

1- H. Jannière, V. Devillard (1997)"Espace public, communauté et voisinage".16

2- جان مارك فيري، فلسفة التواصل، ترجمة عمر مهيبل، منشورات الإختلاف الجزائر، ط1، 2006 ، ص 178

3- علي عبود المحمداوي، الإشكالية السياسية للحداثة، المرجع السابق، ص 230

النزاعية، هدفا لتحقيق الإجماع حولها بعد المرور بعملية نقاشية ينتصر في نهايتها للحجة الأكثر إقناعا وأفضل خطابا.

"إن العلاقة بين الحوار والقانون فهو يعتبرها علاقة جدلية انعكاسية فبدا الحوار هو أسلوب لإنتاج شرعية القواعد القانونية والتي لا يمكن أن تكون صحيحة إذا لم يتم الاتفاق عليها عبر نقاشات عقلانية يشارك فيها ذي شأن، ولهذا فان الشرعية هي تلك القواعد تعتمد على احترام المقتضيات المعيارية التي تنتج النقاش"[1].

وبالتالي نجد أن فاعلية النقاش تكون واضحة وجلية إلا إذا كان نتاجها للقواعد القانونية وان أي نقاش لا يمكن أن يكون إلا في صورته القانونية الصحيحة، ا ناي استقلال سياسي يحتم اللجوء إلى النقاش والذي يمكن من خلاله أن نجعل له شكلا قانونيا خاصا.

وعليه فإن الدولة عبر مختلف أجهزتها هي المسؤولة عن إنشاء الأنظمة والقوانين، بإضفاء طابع راهن على أخلاقيات الحوار والنقاش وبهذا يكون الحوار داخل الفضاء العمومي قد احتل مكانا داخل تفكير هابرماس وأيضا في الديمقراطية التشاورية. وكان على هابرماس تحليل هذه الاندماجية بين المؤسسات السياسية والقانونية ويكون الوسيط بينهما القانون ففي المجتمع المعاصر تراجعت فيه القيم الثقافية وخاصة الأخلاقيات.

"إذ لا يكتسب مفهوم السياسة التشاورية أهمية امبريقية إلا إذا أقمنا وزنا لتعدد أشكال التواصل التي بواسطتها تتشكل الإرادة الجماعية ليس فقط بالتفاهم الأخلاقي حول الهوية الجماعية، وإنما أيضا وفي الوقت نفسه بتوزيع المصالح والاتفاق العقلاني بالمعنى الغائي بواسطة اختبار الوسائل الملائمة، وكذلك بالاعتماد على التبرير الأخلاقي وفحص التماسك القانوني "[2].

---

1 -علي عبود المحمداوي، الإشكالية السياسية للحداثة، المرجع السابق، ص 243

2 -الفلسفة والسياسة عند هابرماس، محمد الأشهب، منشورات دفاتر فلسفية، ط1، 2006، ص 89

فتجليات أخلاقيات الحوار هو الفضاء العمومي حيث تجد أن كل مشارك يتمتع بنفس الحقوق في أفعال الكلام في عرض أفكاره، تقديم تبريراته، الدفاع عن حججه، طرح تساؤلاته، فتح باب الحوار وتقديم الشروحات[1]

**خلاصة**

وما نجده أن الالتزام بأخلاقيات الحوار داخل الفضاء العمومي يؤدي إلى الالتزام بشروط التعايش الديمقراطي وبالتالي خلق منبر حوار يعنى بالإنسانية ونظرته في أخلاقيات الحوار تهدف إلى نحت هوية جماعية داخل الفضاء العمومي وتتجسد من خلال اندماج كل المواطنين من أية أصول. فهابرماس يلج الفضاء العمومي من " الفعل التواصلي وأخلاقيات الحوار" فان هدفه بنظر سالم يفوت كيف يكون الاندماج ممكننا ؟ باعتباره الإشكال الذي اعتزمت فلسفة التواصل لدى هابرماس الإجابة عنه. لأنه بنظر سالم يفوت " التفاهم رديف للفعل التواصلي من حيث انه يهدف إلى تحقيق الاتفاق وهو ما يطلق عليه هابرماس اسم الإجماع، إذ في ظل غياب هذا الإجماع بين أطراف الفعل التواصلي، يفشل هذا الأخير "[2].

وتبقى لأخلاقيات الحوار معاييرها ما قد يكفل التوازن الدولي ويدعم تنمية المجتمعات، ذلك هو رهان أخلاقيات الحوار والنقاش شريطة إجماع الكل على قواعد ومعايير وضوابط يلتزم بها المتحاورون في إطار الفعل التواصلي.

---

1 على عبود المحمداوي واسماعيل مهنانة واخرون، مدرسة فرانكفورت التقدية، ابن النديم للنشر والتوزيع ط1، 2012، ص 348

2ا سالم يفوت التواصل عند هابرماس http://www.hurriyatsudan.com/?p=111546 June 1, 2013